الأربعاء: 2023/11/15
التوقيت: 14:50 – 16:20
عن بعد

الدرس رقم 05: عوامل الاستشراق

*** العوامل/الأسباب التي أدت إلى ظهور الاستشراق:**

- ترجمة قصص ألف ليلة وليلة:

إن قصص ألف ليلة وليلة أو قصص الليالي العربية كما يطلقون عليها فى الغرب (Arabian Nights)، كانت مصدر إلهام لكثير من الفنانين والرسامين والموسيقيين حيث قام الغربيون بترجمة هذا العمل الأدبي الضخم وأمعنوا فى تحليله.

قصص ألف ليلة وليلة فن قصصي من الحايا الشعبية الأسطورية، يتراوح عددها من (170-200) حكاية، البعض منها يستغرق ليلة واحدة والبعض الآخر يمتد لأكثر من ليلة بل ويصل إلى ثلاثين ليلة. كل الحكايات والقصص مقدمة فى كتاب واحد بأسلوب لغة عربية فصحى وعامية كما يوجد بها شعر ركيك.

وإن كان هناك اختلاف عن أصولها، حيث أن البعض يرجعها إلى أصل هندي والبعض الآخر يرجعها إلى أصل بغدادي .. إلا أنه هناك اتفاق نوعاً ما عن أصولها التي ترجع إلى بلاد الفرس حيث عُرف عنهم سبقهم فى تأليف الخرافات، وما يدعم هذه الأصول الفارسية لقصص الليالي العربية أن كتاب ألف ليلة وليلة كان معروف باسم "هزار - إفسان" وهذا اسم فارسي معناه "ألف خرافة"، وعلى الرغم من أصولها فإن أكثر البيئات ظهوراً فى هذه القصص هي العراق وسوريا ومصر لأنها تقدم بعض الحكايات المأخوذة عن العرب.

هناك ظن بأن هذه الحكايات تم تأليفها ما بين القرن الثالث عشر والرابع عشر، وحكايات ألف ليلة وليلة محورها شخصان الرجل "الملك شهريار" والمرأة "شهرزاد" حيث تقوم شهرزاد كل ليلة برواية حكاية للملك شهريار التي لا تكملها حتى لا تموت ويأمر الملك بقطع رأسها كما كان

ليلة برواية حكاية للملك شهريار التي لا تكملها حتى لا تموت ويأمر الملك بقطع رأسها كما كان يفعل مع زوجاته من قبل، والسبب وراء ذلك أن الملك شهريار قد علم بطريق الصدفة خيانة زوجته له الذي وأمر بقطع رأسها. بدأ ينتقم من النساء حيث يتزوج كل ليلة واحدة ويأمر بقطع رأسها فى الصباح .. ولم تعد هناك فتيات يتزوج منها الملك، إلى أن نما إلى علمه أن وزيره لديه ابنة اسمها شهرزاد وأمره بأن يتزوجها. علمت شهرزاد بقصته وقبلت التحدي، حيث اتفقت مع شقيقتها بأن تأتى للقصر ليلة زواجها وتطلب منها أن تقص عليها وعلى الملك قصة قبل موتها فى الصباح. وبالفعل تم تنفيذ الاتفاق وبدأت فى حكاية أولى القصص التي لم تنتهي منها وتوسلت إلى الملك أنه لو أبقاها حية ستُكمل له القصة فى اليوم التالى، وهكذا وصلت إلى الألف ليلة وهى ما زالت على قيد الحياة حتى أحبها الملك ورجع عن فكرة القتل.

هناك تصنيفات عديدة لقصص ألف ليلة وليلة:

- الحكايات الأسطورية.
- الحكايات الاجتماعية.
- الحكايات التاريخية.
- الحكايات الوعظية.
- حكايات الجان.

كما أن هناك تصنيفات للقصص من حيث الشخصيات التي تقدمها:

- شخصيات حقيقية مثل قصص هارون الرشيد.

- شخصيات أسطورية.

- شخصيات خيالية عامية كما فى قصص: على الزيبق، السندباد ... الخ.

- شخصيات خيالية علمية مثل البساط السحري.

*** بعض الأمثلة لحكايات ألف ليلة وليلة:**

- حكاية معروف الإسكافي.

- حكاية هارون الرشيد مع على العجمي.

- حكاية الحاسد والمحسود.

- حكاية أبى قير وأبى صير.

- حكاية قمر الزمان.

- حكاية مدينة النحاس.

- حكاية الملك شهريار وأخيه الملك شاه الزمان.

- حكاية علاء الدين.

- حكاية الملك يونان والحكيم دوبان.

- حكاية الحمال مع البنات.

وصحيح أن الشرق كان بمثابة العدو لأوربا (إلا أنه لا مانع من الأخذ من ثرواته التي لا تنضب) وكان من بينها الأدب الشرقي المتمثل فى حكايات ألف ليلة وليلة حيث ساهمت فى خلق صورة خيالية مبهرة عن الشرق نُقلت إلى الغرب الذي لم يكن قادراً على الذهاب بنفسه للإطلاع عليها. ولذا توالى ترجمة هذه الحكايات إلى العديد من اللغات الأجنبية، مثل: اللغة اللاتينية منذ البداية ثم إلى اللغة الفرنسية حيث قام بهذا العمل المستشرق "أنطوان جالان" الذي قام بجمع هذه الحكايات مكتوبة بعد تجوله فى مقاهي القاهرة وبغداد وعاد إلى بلاده ومعه عدداً من المخطوطات لهذه القصص باللغة العربية واستغرق العمل فيها حوالي (13) عاماً أهداها بعد ذلك إلى الملك "لويس الرابع عشر". وكانت ترجمة قصص ألف ليلة وليلة إسهاماً واضحاً فى إنعاش الحركة الأدبية فى أوربا بأكملها، وترجمت بعدها إلى الإنجليزية ثم الألمانية ومن بعدها البولندية.

والجدير بالذكر أن الطبعة الكاملة لهذه الحكايات كانت فى مصر.

- ترجمة رباعيات عمر الخيام:

من هو عمر الخيام؟

الخيام اسمه بالكامل: "غياث الدين أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام والمعروف باسم عمر الخيام، وهو شاعر وعالم وحكيم وفلكي إيراني فارسي وُلد فى مدينة "نيسابور" ما بين عامي (1048-1131 م) وسُمى بالخيام لأن أبيه كان يصنع الخيام ويقوم ببيعها.

وقد اهتم المستشرقون الغربيون أكثر من العرب فى بادئ الأمر بهذا الشاعر وعالم الرياضيات الفذ، حيث لم تُكتشف عبقرية هذه إلا بعد مرور (700) عاماً من وفاته إلى درجة أنه اختطف الأضواء من شكسبير لفترة طويلة من الزمن.

وكانت مجالات إبداعاته:

- فى الجبر وأول من اخترع حساب المثلثات، وأول من وضع علامة (×) ليصبح رمزاً عالمياً للعدد المجهول.

- كما وضع التقويم الفارسي المتبع حتى الآن.

- وكان فيلسوفاً ومبدعاً أكثر من كونه شاعراً، وقد صفه البعض بالزندقة والإلحاد إلا أن الكثير من كتبه قد ضاعت فى هذا المجال.

- ترجع شهرته الواسعة إلى "الرباعيات"، وهى قصائد شعرية قد قام بتأليفها تتكون من أربعة أبيات تكون قافية البيت الثالث فيها مختلفة عن الأبيات الثلاثة الأخرى (الأول والثاني والرابع) التي تشترك فى القافية.

وعن عدد الرباعيات التي قام بكتابتها عمر الخيام باللغة الفارسية يصل عددها إلى حوالي (66) رباعية وهناك العديد من الرباعيات الأخرى التي لم يتم الجزم بنسبها إليه قد تصل إلى المئات بل الألوف.

وعن ولع الغربيين بعمر الخيام، نجد أن "فيتز جيرالد" هو من أول من قام بترجمة الرباعيات إلى اللغة الإنجليزية والتي منها ترجمها الشعراء العرب إلى اللغة العربية. ومن شدة الإعجاب بها وبعد وفاة "جيرالد" بحوالى عشر سنوات تأسس نادٍ فى لندن يحمل اسم "الخيام".

وكان "لوركا" المستشرق الأسباني من ضمن المولعين بشعر عمر الخيام الذي أثر على تكوينه الشخصي والأوربي كما جاء على لسانه.

تمت ترجمة "فيتز جيرالد" للرباعيات على نمطين:

1- ترجمة نثرية حرفية التزمت بكل ما هو مقدم فى النص المكتوب باللغة الفارسية.

2- ترجمة شعرية بلاغية، التي لا تخلو من التصرف أحياناً.

وكانت هناك محاولة فى ترجمة الرباعيات قبل قيام "جيرالد" بهذه المهمة لكنها لم تنل اهتمام الناس، وكانت هذه المحاولة تُنسب إلى أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة أكسفورد/Oxford "توماس هايد/Thomas Hyde".

وكان من خلال هذه الآراء الغربية ترسيخاً لشغف الغرب باقتباس كل ما هو قوى وجديد عن الشرق.

أما عن الشعراء العرب الذين قاموا بترجمة رباعيات الخيام من اللغة الإنجليزية أو الفارسية إلى اللغة العربية كان عددهم عشرة (عدد التراجم عشرة):

- محمد السباعي (ترجمة شعرية عن الفارسية).
- محمد الهاشمي (ترجمة شعرية عن الفارسية).
- أحمد الصافي النجفى (ترجمة شعرية عن الفارسية).
- احمد رامي (ترجمة شعرية عن الفارسية).
- جميل صدقي الزهاوى (ترجمة نثرية عن الفارسية).
- محمد غنيمى هلال (ترجمة نثرية عن الفارسية).
- أحمد الصراف (ترجمة نثرية).
- عبد الحق فاضل (ترجمة شعرية).
- أحمد زكى أبو شادي (ترجمة شعرية عن الإنجليزية).
- والشاعر الأردني/مصطفى وهبي التل.

- افتتاح قناة السويس والاحتفالات التي أقامها الخديوي إسماعيل:

كان حفل الافتتاح الذي أقامه الخديوي/إسماعيل لقناة السويس له أكبر الأثر فى إثارة اهتمام الغربيين وشغفهم بنقل الكثير عن الشرقيين ودراسة حضارتهم.

فبهذا الاحتفال الضخم كان الخديوي/إسماعيل يريد أن يلفت النظر إلى حضارة مصر، وكانت زوجة "نابليون بونابرت" التي فى مقدمة المشاركين فى حفل افتتاح قناة السويس.

أما فكرة حفر قناة السويس كانت بغرض ربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر (المعروف ببحر القلزم فى القدم) وخاصة لموقع مصر الجغرافي الذي يربط بين الشرق والغرب.

وعن تجارب حفر قناة السويس منذ القدم:

أ- قناة سنوسرت الثالث (1874) قبل الميلاد.

ب- قناة سيتي الأول (1310) قبل الميلاد.

ج- قناة نخاو (610) قبل الميلاد.

د- قناة دارا الأول (510) قبل الميلاد.

- قناة بطليموس الثاني (285) قبل الميلاد.

و- قناة الرومان (117) قبل الميلاد.

ز- قناة أمير المؤمنين (640) بعد الميلاد.

يبلغ طول قناة السويس (195) كم وعرضها (190) متر وعمقها حوالى (17) متراً.
وقد قوبلت فكرة حفر القناة بالرفض العديد من المرات، نتيجة للاعتقاد الذي كان يسود بأن منسوب مياه البحر الأحمر أعلى من منسوب مياه البحر المتوسط. لكن الحفر الفعلي لها بدأ فى نوفمبر عام (1859) وتم افتتاحها فى نوفمبر عام (1869) فى عهد الخديوي/إسماعيل، وقد فاق حفل الافتتاح الحكايات الأسطورية.

- الحملة الفرنسية على مصر وكتاب وصف مصر:

بعد الانتصارات التي حققها "نابليون بونابرت" ضد إيطاليا، بدا تفكيره يتجه إلى الشرق لإقامة إمبراطورية هناك، وكانت من أقواله التي يرددها لنفسه بعد احتلال الشرق: "حلمي تجسد فى الشرق بينما كاد يتحول إلى كابوس فى الغرب"..
فهذا يوضح مدى إعجابه وتمسكه بالشرق قبل أن يغزوه وترسخ هذا الإعجاب بعد الغزو، كان هدف نابليون فى المقام الأول من احتلال مصر والشام هو اتخاذها قاعدة عسكرية يصل منها إلى الأملاك البريطانية فى الهند هذا من ناحية، أما من الناحية الأخرى لكي ينهب ثروات الإمبراطورية العثمانية التي أصبحت ضعيفة.

بدأت الحملة الفرنسية على مصر والشام (1798-1802) أي استمرت لمدة ثلاث سنوات، حيث كان عمرها قصيراً ولم تدم لفترة طويلة من الزمن.
كان استيلاء نابليون على مصر سهلاً لأنها كانت خاضعة آنذاك لحكم المماليك الضعيف، فى حين أنها اصطدمت بالعديد من الصعوبات فى الشام. كانت الحملة الفرنسية مكونة تقريباً من (30) ألف جندياً فرنسي بالإضافة إلى أسطول مكون من (26) سفينة أبحرت من ميناء طولون حيث وصل هذا الأسطول بعد حوالي (12) يوماً من مغادرته لميناء طولون إلى العجمي ونزلت القوات سيراً إلى الإسكندرية.
وما يهمنا الدور الذي لعبته الحملة الفرنسية فى عملية الاستشراق أو دراسة الشرق، فقد ساهمت بجانب كبير فى نقل حضارات الشرق إلى أوربا حيث رافقت هذه الحملة مجموعة من العلماء وصل عددهم إلى أكثر من (150) عالماً وأكثر من (2000) فناناً ورساماً وأطباء وفلكيين وغيرهم.
وقام العلماء الفرنسيين بتسجيل كل أمور الحياة فى مصر بكافة تفاصيلها فى كتاب "وصف مصر" الذي كان بمثابة الموسوعة التي ضمت (20) مجلداً مشروحة بالصور والرسومات واللوحات التي تمثل النشاط المصري بالإضافة إلى الكنوز التاريخية والفنية والدينية والحياة النباتية والحيوانية المعدنية.
كتاب وصف مصر/ Description de l'Egypte عبارة عن 20 مجلدًا بعنوان "وصف مصر أو مجموع الملاحظات والبحوث التي تمت في مصر خلال الحملة الفرنسية" تم إنجاز هذا العمل أثناء الحملة الفرنسية على مصر ويعتبر من الأعكال التاريخية، حيث اصطحب نابليون بونابرت معه فريقا من العلماء من كافة التخصصات ليسجلوا مارأوه فى مصر فى كافة المجالات. وبعد عوة

العلماء إلى فرنسا قام وزير الداخلية الفرنسية آنذاك "جان انطوان شبتال/ Jean-Antoine Chaptal" وبالتحديد في 18 فبراير 1802 بتنظيم تشكيل لجنة بين أعضاء فريق العلماء والملاحظيين فتشكلت لجنة من ثمان أعضاء قامت بجمع ونشر كافة المواد العلمية الخاصة بالحملة والتي كانت عبارة عن 10 مجلدات للوحات، منها 74 لوحة بالألوان، وأطلس خرائط، و9 مجلدات للدراسات.

بالإضافة إلى كتاب "دومينيك فيفان دينون/Dominique Vivant Denon" (رحلة إلى مصر العليا والسفلى أثناء حملة نابليون)، وقد ظهر هذا الكتاب قبل إصدار موسوعة "وصف مصر" بسنوات لذا كان له أكبر الأثر فى تشكيل الطابع الشرقي فى فن التصوير الفرنسي. وقد ضم هذا الكتاب صور للحياة والبيئة المصرية، الطقوس الدينية، كما سجل وصف دقيق للمعابد الفرعونية المصرية القديمة فى الوجه القبلي والبحري، صور أنماط الكتابة الهيروغليفية، سير المعارك التي قادها بونابرت فى مصر، أنماط العمارة الإسلامية، مظاهر الحياة الطبيعية من نبات وحيوان، شخصيات من مختلف القوميات أتراك ومماليك وعرب وأقباط، وكان "دينون" يهتم بالناحية الوثائقية فى عمله لكي يعكس الحقائق مما أبعده نوعاً عن الطبيعية وجمود وصفه فى رسوماته.

وبذلك نجد أن نابليون قد شكل تحالفاً بين القوة من خلال الهيمنة العسكرية والمعرفة متمثلة فى الاستشراق وما جلبته الحملة من علماء معها.